

## سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى : قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أوحى الله إلي على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ إلي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالما به قبل أن أوحى إليه، هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي. وقرأ ابن أبي عملة «وَوَحِيَ» (١) على الأصل؛ يقال أوحى إليه ووحي، وقرئ: «أُوحِيَ» فقلبت الواو همزة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ [المرسلات: ١١]، وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة، وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا، كإشاح وإسادة «وإعاء أخيه» ونحوه.

الثانية : واختلف هل رآهم النبي ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرههم؛ لقوله تعالى: ﴿اسْتَمَعَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ (٢)، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم؛ فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل (٣) بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب! قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (٤)، ورواه

(١) هذه قراءة غير متواترة، انظر: ابن عطية (١٦/ ١٣٠) في المحرر الوجيز.

(٢) عكاظ: بضم أوله وهي سوق كانت للعرب في الجاهلية لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار [أي يدعك] وكانوا يتفاخرون هناك، وكانت قبائل العرب جميعاً تحضر هذه السوق في كل سنة،

معجم البلدان (٤/ ١٤٢).

(٣) حيل: منع اللسان «حيل»

(٤) صحيح: مسلم (٤٤٩) في الصلاة، والترمذي (٣٣٢٣) في التفسير.

الترمذي عن ابن عباس قال: قول الجن لقومهم: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (١٥) قال: لما رآه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته، فيسجدون بسجوده قال: تعجبوا من طواعة أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، قال: هذا حديث حسن صحيح<sup>(١)</sup>؛ ففي هذا الحديث دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم ير الجن ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته، وفيه دليل على أن الجن كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشهب، وكان المرميون بالشهب من الجن أيضا.

وقيل لهم: شياطين كما قال: ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فإن الشيطان كل متمرّد وخارج عن طاعة الله، وفي الترمذي عن ابن عباس قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زادوا فيها، فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله ﷺ مُنِعُوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمر إلا من أمر قد حدث في الأرض! فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلي بين جبلين - أراه قال: بمكة - فأتوه فأخبروه فقال: هذا الحديث الذي حدث في الأرض، قال: هذا حديث حسن صحيح<sup>(٢)</sup>، فدل هذا الحديث على أن الجن رموا كما رُميت الشياطين، وفي رواية السدي: أنهم لما رموا أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال: صاحبكم بمكة، فبعث نفرًا من الجن، قيل: كانوا سبعة، وقيل: تسعة منهم زوبعة<sup>(٣)</sup>، وروى عاصم عن زر قال: قدم رهط زوبعة وأصحابه على النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، وقال الثمالي: بلغني أنهم من بني الشيصبان، وهم أكثر الجن عدداً وأقواهم شوكة، وهم عامة جنود إبليس<sup>(٥)</sup> وروى أيضاً عاصم عن زر: أنهم كانوا سبعة نفرًا؛ ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين<sup>(٦)</sup>، وحكى جوير عن الضحّاك: أنهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق<sup>(٧)</sup>، وقيل: إن الجن الذين أتوا مكة جن نصيبين، والذين أتوه بنخلة جن نينوى، وقد مضى بيان هذا في سورة الأحقاف، قال عكرمة: والسورة التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وقد مضى في سورة «الأحقاف»<sup>(٨)</sup> التعريف باسم النفر من الجن، فلا معنى لإعادة ذلك<sup>(٩)</sup>.

وقيل: إن النبي ﷺ رأى الجن ليلة الجن وهو أثبت؛ روى عامر الشعبي قال: سألت علقمة هل

(١) صحيح: مسلم (٤٤٩) في الصلاة، والترمذي (٣٣٢٣) في التفسير.

قلت: وهو عند البخاري (٤٩٢١) في التفسير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: الترمذي (٣٣٢٤) في التفسير، وصححه الألباني هناك - ط - الرياض.

(٣) حسن إليه وهو مرسل: وانظر: التالي.

(٤) ضعيف وهو مرسل: وعاصم هذا هو ابن بهدلة (ابن أبي النجود) وهو إمام في القراءات وله أوهام إذا حدث.

ورواه الطبري (٢٩/ ١٠٨، ١٠٩) في تفسيره.

(٥-٧) انظر السابق.

(٨، ٩) عند الآية (٢٩).

كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استظير أو اغتيل<sup>(١)</sup>، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم؛ فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، وكانوا من جن الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عظمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم الجن»<sup>(٢)</sup>. قال ابن العربي: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة<sup>(٣)</sup>، وقد قيل: إن الجن أتوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة، وهي التي ذكرها ابن مسعود<sup>(٤)</sup>، والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس<sup>(٥)</sup>. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي ﷺ وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرههم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي: والأحاديث الصحاح تدل على أن ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثار الجن وآثار نيرانهم، قال: وقد روي من غير وجه أنه كان معه ليلتئذ، وقد مضى هذا المعنى في سورة «الأحقاف» والحمد لله<sup>(٦)</sup>، وروي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، ثم قال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحجون<sup>(٧)</sup> عند شعب أبي دُبٍّ<sup>(٨)</sup> فخط عليّ خطأ، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحجون فانحدر عليه أمثال الحجل<sup>(٩)</sup> يحدرون<sup>(١٠)</sup> الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها، حتى غشوه فلا أراه، فقمت فأومئ<sup>(١١)</sup> إلي بيده أن اجلس، فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إلي قال: «أردت أن تأتيني؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء

(١) استظير :- دُعر اللسان « طير ».

(٢) صحيح : مسلم ، ( ٤٥٠ ) في الصلاة ، والترمذي ( ٣٢٥٨ ) في التفسير .

(٣) في هذا خير مرفوع صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما انظره في: صحيح الجامع (٥٣٧٤) للالباني - رحمه الله .

(٤) صحيح : وقد سبق قريباً .

(٥) ، ( ٦ ) انظر : عند البيهقي ( ٢ / ١٠٢ ) في الدلائل .

(٧) الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها . معجم البلدان ( ٢ / ٢٦٠ ) .

(٨) شعب أبي دب : شعب أي : طريق في الجبل ، سمى باسم رجل من بني سؤابة بن عامر بن صعصعة - معجم

البلدان ( ٣ / ٣٩٣ ) .

(٩) الحجل : صغار الإبل وأولادها اللسان « حجل » .

(١٠) يحدرون الحجارة : يحطونها من علو إلى سفلى اللسان « حدر » .

(١١) أومئ : أشار اللسان « وما » .

الجن أتوا يستمعون القرآن، ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر، فلا يستطيعين أحدكم بعظم ولا بعراً» (١).

قال عكرمة: وكانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل، وفي رواية: انطلق بي عليه الصلاة والسلام حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عرف، خط لي خطاً، فأناه نفر منهم فقال أصحابنا كأنهم رجال الزُّط (٢) وكان وجوههم المكاكي (٣)، فقالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبي الله» قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة تعالي يا شجرة» فجاءت تجر عروقها، لها قعاقع (٤) حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله، فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة، لها قعاقع حتى عادت كما كانت.

ثم روى أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود، فرقد ثم استيقظ فقال: «هل من وضوء» قال: لا، إلا أن معي إداوة فيها نبذ، فقال: «هل هو إلا تمر وماء» فتوضأ منه (٥).  
الثالثة: قد مضى الكلام في الماء في سورة «الحجر» (٦) وما يستنجى به في سورة «براءة» (٧) فلا معنى للإعادة.

الرابعة: واختلف أهل العلم، في أصل الجن؛ فروى إسماعيل عن الحسن البصري: أن الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولي الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً، فهو شيطان (٨)، وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الجن هم ولد الجان، وليسوا بشياطين، وهم يموتون؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس، لا يموتون إلا مع إبليس، واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال: إنهم من ذرية إبليس فلهم فيه قولان: أحدهما: وهو قول الحسن يدخلونها، الثاني: وهو رواية مجاهد لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار، حكاه الماوردي (٩)، وقد مضى في سورة «الرحمن» عند قوله تعالى: «لَمْ يَطْمِئِنُّوْا إِنْسَاقِبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» [الرحمن: ٥٦] بيان

(١) في إسناده ضعف: وفيه أبو صالح وهو ضعيف، انظر: روح المعاني (١٨٦/٩) للآلوسي.

(٢) الزُّط: جبل أسود ينتمي إلى السند - اللسان «زلط».

(٣) المكاكي: في اللسان: جمع مكوك وهو طاس يشرب به، أعلاه ضيق ووسطه واسع، اللسان «مكك».

(٤) قعاقع: جمع قعقعة، وهي حكاية صوت السلاح والترسة، والجلود اليابسة والحجارة، والرعد وغيرها - كما في اللسان.

(٥) صحيح: الهيثمي (٨/ ٢٩٢) بنحوه عن ابن عمر، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى والبخاري.

(٦) عند الآية (٢٢)

(٧) عند الآية (١٠٨) ..

(٨) كذا في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩) ط - دار الفكر، وعزاه لابن أبي حاتم وفيه ضعف، فقد رواه من طريق

سلمة بن الفضل وهو ضعيف.

(٩) صحيح: وقد سبق.

أنهم يدخلونها.

الخامسة : قال البيهقي في روايته : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال : «لكم كل عظم»<sup>(١)</sup> دليل على أنهم يأكلون ويطعمون، وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصح طعامهم؛ اجترأ على الله وافتراء عليه، والقرآن والسنة ترد عليهم، وليس في المخلوقات بسيط [بل الكل] مركب مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركب وليس بواحد كيفما تصرف حاله، وليس يمتنع أن يراهم النبي ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة، وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات<sup>(٢)</sup>؛ ففي الموطأ: أن رجلا حديث عهد بعرس، استأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله، الحديث، وفيه: فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها<sup>(٣)</sup>، وذكر الحديث، وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيت منها شيئا، فخرجوا عليها ثلاثا، فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر»<sup>(٤)</sup>، وقال: «اذهبوا فادفونوا صاحبكم»<sup>(٥)</sup>، وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة» وبيان التحريم عليهن<sup>(٦)</sup>، وقد ذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص بالمدينة؛ لقوله في الصحيح: «إن بالمدينة جنا قد أسلموا»<sup>(٧)</sup>، وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها، قلنا: هذا يدل على أن غيرها من البيوت مثلها؛ لأنه لم يعلل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها، وإنما علل بالإسلام، وذلك عام في غيرها، ألا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذين لقي: وكانوا من جن الجزيرة؛ وهذا بين بعضده قوله: ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام، وقد مضى في سورة «البقرة» القول في هذا فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» أي: في فصاحة كلامه، وقيل: عجا في بلاغة مواظمه، وقيل: عجا في عظم بركته، وقيل: قرآنا عزيزا لا يوجد مثله، وقيل: يعنون عظيما، «يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» أي: إلى مرشد الأمور، وقيل: إلى معرفة الله تعالى؛ و«يَهْدِي» في موضع الصفة أي: هاديا، «فَأَمَّا بِهِ» أي: فاهتدينا به وصدقنا أنه من عند الله، «وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر، لما رمى الجن بالشهب، وقيل لا نتخذ مع الله

(١) انظر: الحديث ما قبل سبعة هوامش .

(٢) وعند ابن أبي شيبة بإسناد صحيح ، عن عمر - رضي الله عنه : ( أن الغيلان ذُكروا عند عمر ) ، فقال : إن أحدا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها ، ولكن لهم سحرة كسحرتكم ، فإذا رأيتم ذلك فأذنوا ، رواه ابن أبي شيبة ( ٦ / ٩٤ ) في المصنف .

وقال الشافعي - رحمه الله - كما روى عنه البيهقي في مناقبه : ( من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبيا ) ، وهذا محمول على من يدعى رؤيتهم على صورهم الحقيقية . فتح الباري ( ٦ / ٣٤٤ ) .

(٣) صحيح : قطعة من حديث مسلم ٢٢٣٦ / ١٣٩ ، ١٤٠ ، ( ١٤١ ) في السلام عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه .

(٤) صحيح : مسلم ( ٢٢٣٦ / ١٤٠ ) في السلام .

(٥) صحيح : انظر السابق .

(٦) عند الآية ( ٣٦ ) .

(٧) صحيح : مسلم ( ٢٢٣٦ / ١٣٩ ) في السلام .

إلها آخر؛ لأنه المتفرد بالربوبية، وفي هذا تعجيب المؤمنين بذهاب مشركي قريش عما أدرسته الجن بتدبيرها القرآن، وقوله تعالى: ﴿اسْتَمِعْ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبي ﷺ فعملوا أن ما يقرؤه كلام الله، ولم يذكر المستمع إليه لدلالة الحال عليه، والنفر الرهط؛ قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة، وقرأ عيسى الثقفي: «يَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ» بفتح الراء والشين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان علقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي ينعون: «أَنَّ» في جميع السورة في اثني عشر موضعا، وهو: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَا ظَنَّا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾، ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي﴾، ﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحِينَ﴾، ﴿وَأَنَا ظَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾، ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ عطفًا على قوله: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا﴾، ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلا الفتح؛ لأنها في موضع اسم فاعل ﴿أُوْحِي﴾ فما بعده معطوف عليه، وقيل: هو محمول على الهاء في ﴿أَمَّا بِهِ﴾، أي: و﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ وجاز ذلك وهو مضمَر مجرور لكثرة حذف الجار مع ﴿أَنَّ﴾، وقيل: المعنى أي: وصدقنا أنه جد ربنا، وقرأ الباقرن كلها بالكسر (١) وهو الصواب، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم عطفًا على قوله ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لأنه كله من كلام الجن، وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثة مواضع؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾. قالوا: لأنه من الوحي، وكسروا ما بقي؛ لأنه من كلام الجن، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩]، فكلهم فتحوا إلا نافعا وشيبة وزر بن حبيش وأبا بكر والفضل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير، ولا خلاف في فتح همزة ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾، ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَفَامُوا﴾، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿أَن قَدْ أٰبَلَّغُوا﴾، وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ و﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ [الجن: ١٩] و﴿قُلْ إِن أَدْرِي﴾ [الجن: ٢٤]، و﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ [الجن: ٢١]، وكذلك لا خلاف في كسر ما كان بعد فاء الجزاء؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣] و﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الجن: ٢٧]، لأنه موضع ابتداء.

وله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظمة والجلال؛ ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حفظ «البقرة» و«آل عمران» جد في عيوننا (٢)؛ أي: عظم وجل، فمعنى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمته وجلاله؛ قاله عكرمة ومجاهد وقتادة (٣)، وعن مجاهد أيضا: ذكره (٤)، وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضا: غناه (٥)، ومنه قيل للحظ جد، ورجل مجدود أي: محظوظ؛ وفي الحديث:

(١) قراءة متواترة، وانظر: تقريب النشر (ص ١٨٤).

(٢) صحيح: قطعة من حديث رواه مسلم (٢٧٨١ / ١٤) في صفات المنافقين، وفيه قصة النصراني المرتد الذي لفظته الأرض.

وهو عند البخاري (٣٦١٧) في المناقب عنه أيضًا.

(٣) صحيح إيهيم: الطبري (٢٩ / ١١٠) في تفسيره.

(٤) صحيح إلى مجاهد: السابق (٢٩ / ١١١).

(٥) حسن إيهيم: السابق (٢٩ / ١١٠).

«ولا ينفع ذا الجسد منك الجدُّ» (١) قال أبو عبيدة والخليل: أي: ذا الغنى، منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة، وقال ابن عباس: قدرته (٢). الضحاك: فعله (٣)، وقال القرظي والضحاك أيضا: آلاؤه ونعمه على خلقه (٤)، وقال أبو عبيدة والأخفش: ملكه وسلطانه (٥)، وقال السدي: لمره (٦)، وقال سعيد بن جبير: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالى ربنا، وقيل: إنهم عنوه بذلك الجسد الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن، وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جد، وإنما قالته الجن للجهالة، فلم يؤاخذوا به (٧)، وقال القشيري: وهو جرد إطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى؛ إذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن، غير أنه لفظ موهم، فتجنبه أولى، وقراءة عكرمة: «جدُّ» بكسر الجيم على ضد الهزل، وكذلك قرأ أبو حيوة ومحمد بن السميع، ويروى عن ابن السميع أيضا وأبي الأشهب: «جَدًّا رَبَّنَا» (٨)، وهو الجدوى والمنفعة، وقرأ عكرمة أيضا: «جدُّ» بالتثنية (٩) «رَبُّنَا» بالرفع على أنه مرفوع، بـ ﴿تَعَالَى﴾، و«جَدًّا» منصوب على التمييز، وعن عكرمة أيضا «جدُّ» بالتثنية (١٠) رفع «رَبُّنَا» بالرفع على تقدير: تعالى جدُّ جدُّ ربنا؛ فجد الثاني بدل من الأول وحذف وأقيم المضاف إليه مقامه، ومعنى الآية: وأنه تعالى جلال ربنا أن يتخذ صاحبة وولدا للاستئناس بهما والحاجة إليهما، والرب يتعالى عن الأنداد والنظراء.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ وَأَنَا ظَنَّنَا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿  
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَمْوَدُّونَ رِجَالِ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ  
يَمِثَّ اللَّهُ أَحَدًا ﴿

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في ﴿أَنَّهُ﴾ للأمر أو الخديث، وفي ﴿كَانَ﴾ اسمها، وما بعدها الخبر، ويجوز أن تكون ﴿كَانَ﴾ زائدة، والسفيه هنا إبليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة (١١)، ورواه أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ (١٢)، وقيل: المشركون من

- (١) متفق عليه: جزء من حديث رواه البخاري (٨٤٤) في الأذان، ومسلم (٥٩٣ / ١٣٧، ١٣٨) في المساجد عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه .  
(٢) متقطع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس - رضي الله عنهما: الطبري (٢٩ / ١٠٩) في تفسيره، ورواه من طريق العوفيين أيضا فهو ضعيف .  
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ١٨٧) .  
(٤) الطبري (٢٩ / ١٠٩) .  
(٥) مجاز القرآن (٢ / ٢٧٢) لأبي عبيدة .  
(٦) حسن إليه: الطبري (٢٩ / ١٠٩) في تفسيره .  
(٧) هذا كلام ذكره ابن كثير نقلاً عن تفسير ابن أبي حاتم بسند جيد إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم قال: فهذا إسناد جيد ولكنى لست أنهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط شيء والله أعلم . هـ، وقول أبي العالية عند الطبري (٢٩ / ١١٠) في تفسيره .  
(٨) هي قراءات متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٤) .  
(٩) صحيح الإبهام: وفي سند مجاهد رجل مجهول . الطبري (٢٩ / ١١٣) في تفسيره .  
(١٢) لم أجده فيما بين يدي من مصادر .

الجن<sup>(١)</sup>، قال قتادة: عصاه سفية الجن كما عصاه سفية الإنس، والشطط والاشتطاط: الغلو في الكفر<sup>(٢)</sup>، وقال أبو مالك: هو الجور<sup>(٣)</sup>. الكلبي: هو الكذب<sup>(٤)</sup>، وأصله العبد فيعبر به عن الجور لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق؛ قال الشاعر:

بأية حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك إلا حيث يممك الوخطُ

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَّا﴾ أي: حسبنا ﴿أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدقناهم في أن لله صاحبة وولدا، حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق.

وقرأ يعقوب والجاحدري وابن أبي إسحاق «أَنْ لَنْ نَقُولَ»<sup>(٥)</sup>، وقيل: انقطع الإخبار عن الجن ها هنا فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ﴾ فمن فتح وجعله من قول الجن ردها إلى قوله: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الجن: ١]، ومن كسر جعلها مبتدأ من قول الله تعالى، والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بواد: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه؛ فبييت في جواره حتى يصبح؛ قاله الحسن وابن زيد وغيرهما<sup>(٦)</sup>، قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم، وقال كردم بن أبي السائب: خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر النبي ﷺ، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فأخذ حملا من الغنم، فقال الراعي: يا عامر الوادي، أنا جارك، فنادى مناد لا نراه: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾<sup>(٧)</sup> أي: زاد الجن الإنس رَهَقًا أي: خطيئة وإثما؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقاتدة، والرهق: الإثم في كلام العرب وغشيان المحارم؛ ورجل رهق: إذا كان كذلك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرْتَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال الأعشى:

لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقًا

يعني إثما، وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببا لها، وقال مجاهد أيضا: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: إن الإنس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ، حتى قالت الجن: سدننا الإنس والجن، وقال قتادة أيضا وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فرقا وخوفا من الجن<sup>(٨)</sup>، وقال سعيد بن جبير: كفرا<sup>(٩)</sup>، ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك، وقيل: لا يطلق لفظ الرجال

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ١٨٨).

(٢) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩ / ١١٣) في تفسيره.

(٣)، (٤) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ١٨٨).

(٥) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٤).

(٦) هذه كلها مراسيل: رواها الطبري (٩ / ١١٤، ١١٥) بأسانيد صحاح مقطوعة.

(٧) ضعيف: الهيثمي (٧ / ١٢٩) في المجمع، وقال: «رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي وهو: ضعيف».

(٨) صحاح إلهيم: الطبري (٢٩ / ١١٥، ١١٦).

(٩) وهو قول مجاهد أيضًا، وانظر السابق.

على الجن؛ فالعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجن برجال من الإنس، وكان الرجل من الإنس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي، قال القشيري: وفي هذا تحكم إذ لا يبعد إطلاق لفظ الرجال على الجن.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظُنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا من قول الله تعالى للإنس أي: وأن الجن ظنوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظننتم. الكلبي: المعنى: ظنت الجن كما ظنت للإنس أن يبعث الله رسولا إلى خلقه يقيم به الحججة عليهم<sup>(١)</sup>، وكل هذا توكيد للحجة على قريش؛ أي: إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد، فأنتم أحق بذلك.

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا مَلِكًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿ وَأَنَا لَا نَذَرُ أَشْرًا أُرِيدُ بِعَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ هذا من قول الجن؛ أي: طلبنا خبرها كما جرت عادتنا ﴿فَوَجَدْنَا فِيهَا﴾ قد ﴿مَلِكًا حَرَسًا شَدِيدًا﴾ أي: حفظة، يعني الملائكة، والحرس: جمع حارس ﴿وَشُهَابًا﴾ جمع شهاب، وهو انقراض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع، وقد مضى القول فيه في سورة «الحجر»<sup>(٢)</sup> «والصافات»<sup>(٣)</sup>، و«وجد» يجوز أن يقدر متعديا إلى مفعولين، فالاول الهاء والألف، و﴿مَلِكًا﴾ في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدى إلى مفعول واحد ويكون ﴿مَلِكًا﴾ في موضع الحال على إضمار قد، و﴿حَرَسًا﴾ نصب على المفعول الثاني بـ ﴿مَلِكًا﴾، و﴿شَدِيدًا﴾ من نعت الحرس، أي: ملئت ملائكة شدادا، ووجد الشديد على لفظ الحرس؛ وهو كما يقال: السلف الصالح بمعنى الصالحين، وجمع السلف أسلاف وجمع الحرس أحراس؛ قال:

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ معشَرٍ

ويجوز أن يكون ﴿حَرَسًا﴾ مصدرا على معنى حُرستُ حراسة شديدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ ﴿مِنْهَا﴾ أي: من السماء، و﴿مَقَاعِدَ﴾: مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء؛ يعني أن مرده الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء، حتى يلقوها إلى الكهنة على ما تقدم بيانه، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ يعني بالشهاب: الكوكب المحرق؛ وقد تقدم بيان ذلك، ويقال: لم يكن انقراض الكواكب إلا بعد مبعث النبي ﷺ وهو آية من آياته، واختلف السلف: هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث، أو كان ذلك أمرا حدث لمبعث النبي ﷺ؟ فقال الكلبي وقال قوم: لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي ﷺ، فلما بعث

(١) صحيح إلى الكلبي: لكن الكلبي كذاب، وانظر الطبري (٢٩/ ١١٦) في تفسيره.

(٢، ٣) انظر الآية (٨) من سورة «الحجر»، والآية (١٠) من سورة «الصافات».

محمد ﷺ منعوا من السموات كلها، وحرست بالملائكة والشهب (١).

قلت: ورواه عطية العوفي عن ابن عباس؛ ذكره البيهقي (٢)، وقال عبد الله بن عمر: لما كان اليوم الذي نبي رسول الله ﷺ منعت الشياطين، ورموا بالشهب (٣)، وقال عبد الملك بن سابور: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فلما بعث محمد ﷺ حرست السماء، ورميت الشياطين بالشهب، ومنعت من الدنوس من السماء، وقال نافع بن جبير: كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى، فلما بعث رسول الله ﷺ رميت بالشهب (٤)، ونحوه عن أبي ابن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبي رسول الله ﷺ فومي بها (٥)، وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسول الله ﷺ إنذارا بحاله؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَلَيْتُ﴾ أي: زيد في حرسها؛ وقال أوس بن حجر وهو جاهلي:

فَانْقَضَ كَالدُّرِّي يَتَّبِعُهُ نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالَهُ طُنْبًا

وهذا قول الأكثرين، وقد أنكر الجاحظ هذا البيت، وقال: كل شعر روي فيه فهو مصنوع، وأن الرمي لم يكن قبل المبعث، والقول بالرمي أصح؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مَلَيْتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا﴾. وهذا إخبار عن الجن، أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولما روي عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم؛ فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم، فقال النبي ﷺ: «إنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياة، ولكن ربنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا في السماء، سبج حملة العرش، ثم سبج أهل كل سماء، حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، فتتخطف الجن، فيرمون فما جاؤوا به فهو حق، ولكنهم يزيدون فيه» (٦)، وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث، وروى الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب عن ابن عباس (٧)، وفي آخره قيل للزهري: أكان يرمى في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أفرايت قوله سبحانه: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ قال: غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ (٨)، ونحوه قاله القتيبي، قال ابن قتيبة: كان ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبل يسترقون ويرمون في بعض الأحوال، فلما بعث محمد ﷺ منعت من ذلك أصلا، وقد تقدم بيان هذا في سورة «الصفات» عند قوله: ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٩) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿[الصفات]، قال الحافظ: فلو

(١) هذا مرسل من كلام الكلبي ولا يصح إذ هو متعلق بعالم الغيب .

(٢) ضعيف جداً : طريق العوفيين مليء بالجهالة ، وانظر الدلائل (٢/ ٢٨٠) ، للبيهقي .

(٣) انظر : السابق .

(٤) مرسل : انظر : قبل السابق .

(٥) ضعيف جداً : فيه الواقدي وهو متروك على علمه : انظر : السابق .

(٦) هذا من طريق العوفيين ، وانظر : التالي .

(٧) صحيح : مسلم (٢٢٢٩/ ١٢٤) في السلام .

(٨) انظر : السابق .

قال قائل: كيف تتعرض الجن لإحراق نفسها بسبب استماع خير، بعد أن صار ذلك معلوما لهم؟ فالجواب: أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة، كما ينسي إبليس في كل وقت أنه لا يسلم، وأن الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، ولولا هذا لما تحقق التكليف، والرصد: قيل: من الملائكة؛ أي: ورصدا من الملائكة.

والرصد: الحافظ للشيء، والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضع يجوز أن يكون جمعا كالحرص، والواحد: راصد، وقيل: الرصد هو الشهاب، أي: شهابا قد أرصد له، ليرجم به؛ فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَأُرِيدُ بَعْنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بهذا الحرس الذي حرست بهم السماء، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا﴾ أي: خيرا، قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري، هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا<sup>(١)</sup>، وقيل: هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي ﷺ، أي: لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد إليهم، فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهدتوا؛ فالشر والرشد على هذا الكفر والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علم ببعث النبي ﷺ، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحي، وقيل: لا؛ بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين: أي: لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما آمننا به أم يؤمنون؟ ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ۖ وَأَنَا ظَنَّنَا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ هذا من قول الجن، أي: قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ وإنا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون، وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: ومن دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه من حمله على الإيمان والشرك، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ أي: فرقا شتى؛ قاله السدي<sup>(٢)</sup>. الضحاك: أديانا مختلفة<sup>(٣)</sup>. قتادة: أهواء متباينة<sup>(٤)</sup>؛ ومنه قول الشاعر:

الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْهَادِي بِطَاعَتِهِ فِي فِتْنَةِ النَّاسِ إِذْ أَهْوَأُوهُمْ قَدَدُ

والمعنى: أي: لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين: منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء، وقال ابن المسيب: كانوا مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ قال: في الجن مثلكم قدرية، ومرجثة، وخوارج، ورافضة، وشيعية، وسنية، وقال قوم: أي: وإنا بعد استماع القرآن مختلفون: منا المؤمنون ومنا الكافرون، أي: ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح، والأول أحسن؛ لأنه كان في الجن من آمن بموسى

(١) صحيح مقطوع: الطبري (٢٩/ ١١٧) في تفسيره.

(٢-٤) الطبري (٢٩/ ١١٨) في تفسيره بأسانيد صحاح إليهم، ولم أجد قول الضحاك - رحمه الله.

وعيسى، وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الاحقاف: ٣٠]، وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعواهم إلى الإيمان، وأيضا لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر، والطرائق: جمع الطريقة وهي مذهب الرجل، أي: كنا فرقا مختلفة، ويقال: القوم طرائق أي: على مذاهب شتى، والقدد: نحو من الطرائق، وهو توكيد لها، واحدها: قدة، يقال: لكل طريق قدة، وأصلها من قد السيور، وهو قطعها.

قال لبيد يرثي أخاه أربد:

وقال آخر: لم تَبْلُغْ العينُ كلَّ نَهْمَتِهَا لَيْلَةَ تُمَسِّي الحَيَادُ كَالْقَدِّدِ

وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدٌ حَاسِرٌ يَوْمَ وَاكْتَحَبُوا خَيْلُ عَمْرٍو قَدَدًا

والقد بالكسر: سير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ما له قَدٌ وَلَا قَحْفٌ؛ فالقد: إناء من جلد، والقحف: من خشب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم واليقين، وهو خلاف الظن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ﴾ [الجن: ٥]، ﴿وَأَنَّهُمْ ظُنُّوا﴾ [الجن: ٧] أي: علمنا بالاستدلال والتفكير في آيات الله، أنا في قبضته وسلطانه، لن نفوته بهرب ولا غيره، و﴿هَرَبًا﴾ مصدر في موضع الحال أي: هارين.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَأَمْنَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ١٣ ﴿وَأَنَا مِمَّنِ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْرَأْ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ١٤ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ١٥ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ يعني: القرآن ﴿ءَأَمْنَا بِهِ﴾ وباللغة، وصدقنا محمدا ﷺ على رسالته، وكان ﷺ مبعوثا إلى الإنس والجن، وقال الحسن: بعث الله محمدا ﷺ إلى الإنس والجن، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ (١) [يوسف: ١٠٩]، وقد تقدم هذا المعنى، وفي الصحيح: «وبعثت إلى الأحمر والأسود» (٢) أي: الإنس والجن.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس (٣): لا يخاف أن ينقص من حسناته، ولا أن يزداد في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرهق: العدوان وغشيان المحارم؛ قال الأعشى:

(١) كذا في زاد المسير (٣/ ٤٧٨)، والنكت والعيون (٤/ ٣٣٥)، للماوردي والمحرد الوجيز (٤/ ٥١) لابن عطية .  
 (٢) متفق عليه: البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١/ ٣) عن جابر - رضي الله عنه، في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة واللفظ لمسلم.  
 (٣) منقطع: بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس، وروى أيضا من طريق العوفيين وهو طريق ضعيف. انظر: الطبري (٢٩/ ١١٩) في تفسيره.

لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا هَلْ يَشْفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقًا

الوامق: المحب؛ وقد وَمَقَه بِمَقَه بالكسر أي: أحبه، فهو وامق، وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجن؛ لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم، وقراءة العامة: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ رفعا، على تقدير: فإنه لا يخاف، وقرأ الأعمش ويحيى وإبراهيم: ﴿فَلَا يَخَفُ﴾ جزما على جواب الشرط وإلغاء الفاء.  
قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: وأنا بعد استماع القرآن مختلفون، فمننا من أسلم ومننا من كفر، والقاسط: الجائر، لأنه عادل عن الحق، والمقسط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر:

قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَةً عَمْرًا وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانَ

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَادًا﴾ أي: قصدوا طريق الحق وتوخوه، ومنه تحرى القبلة، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحق والإيمان ﴿فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَطْبًا﴾  
أي: وقودا، وقوله: ﴿فَكَانُوا﴾ أي: في علم الله تعالى.

﴿وَالْوَالِدَاتُ عَلَى الْكِرْبَاءِ وَالسَّبِيلِ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا أَلْتَفَتُنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُقْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ هذا من قول الله تعالى، أي: لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق، وهذا محمول على الوحي؛ أي: أوحى إلي: أن لو استقاموا، ذكر ابن بحر: كل ما في هذه السورة من «إِنَّ» المكسورة المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من «أَنْ» المفتوحة المخففة فهي وحي إلى رسول الله ﷺ، وقال ابن الأباري: ومن كسر الحروف وفتح ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾ أضمر يميننا تاما، تأويلها: والله أن لو استقاموا على الطريقة؛ كما يقال في الكلام: والله أن لو قمت لقمت، والله لو قمت قمت؛ قال الشاعر:

أما والله أن لو كنت حُرًّا وما بالحر أنت ولا العتيق<sup>(١)</sup>

ومن فتح ما قبل المخففة نسقها - أعني الخفيفة - على: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾ أو على: ﴿أَمَّنَا بِهِ﴾، ﴿وَأَمَّنَا بِهِ﴾، ويستغني عن إضمار اليمين، وقراءة العامة بكسر الواو من «لو» للقاء الساكنين، وقرأ ابن وثاب والأعمش بضم الواو، و﴿مَاءٌ عَذْقًا﴾ أي: واسعا كثيرا، وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين؛ يقال: عَدَقَتِ الْعَيْنُ تَعْدُقُ، فهي عَدْقَةٌ إذا كثرت ماؤها، وقيل: المراد الخلق كلهم أي: ﴿لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً عَذْقًا﴾ أي: كثيرا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم، وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، فمعنى: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ﴾: لوسعنا عليهم في الدنيا؛ وضرب الماء العدق الكثير لذلك مثلا؛ لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون،

(١) البيت ذكره الطبري عن ابن زيد (٢٩/ ١٢٠) في تفسيره .

فأقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] أي: بالمطر، والله أعلم، وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية وعبيد بن عمير والحسن: كان والله أصحاب النبي ﷺ سامعين مطيعين، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي، ففتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه، يعني عثمان ابن عفان .

وقال الكلبي وغيره: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ التي هم عليها من الكفر، فكانوا كلهم كفارا، لوسعنا أرزاقهم مكرماً بهم واستدرجاً لهم، حتى يفتتنوا بها، فنعذبهم بها في الدنيا والآخرة، وهذا قول قاله الربيع بن أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبي والشامي ويمان بن رثاب وابن كيسان وأبو مجلز<sup>(١)</sup>؛ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُر بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية؛ والأول أشبه؛ لأن الطريقة معرفة بالالف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقة الهدى؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض» وذكر الحديث<sup>(٢)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد، وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القبول، إن قيل: إنها في أهل الكفر، الثاني عن العمل، إن قيل: إنها في المؤمنين، وقيل: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ أي: لم يشكر نعمه، ﴿يَسْأَلُكَ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيون وعباس عن أبي عمرو: ﴿يَسْأَلُكَ﴾ بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لذكر اسم الله أولاً، فقال: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾، الباقون «نسلكه» بالنون<sup>(٤)</sup>، وروي عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام، وكذلك قرأ طلحة والأعرج وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنى؛ أي: ندخله، ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقاً شديداً، قال ابن عباس: هو جبل في جهنم<sup>(٥)</sup> . أ بو سعيد الخدري: كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت<sup>(٦)</sup>، وعن

(١) انظر: الطبري (٢٩/ ١٢٠، ١٢١) في تفسيره .

(٢) صحيح: البخاري (٦٤٢٧) في الرقاق ، ومسلم (١٠٥٢ / ١٢٢) في الزكاة ، واللفظ له .

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٤٢٥) في الرقاق ، ومسلم (٢٩٦١) في الزهد والرقائق ، كلاهما عن عمرو بن عوف -

رضي الله عنهما .

(٤) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٤) .

(٥) في إسناده نظر: ففي رواية سماك عن عكرمة اضطراب . انظر: الطبري (٢٩/ ١٢٢) في تفسيره .

(٦) سبق تضعيفه .

ابن عباس: أن المعنى مشقة من العذاب (١)، وذلك معلوم في اللغة أن الصعد: المشقة، تقول: تصعدني الأمر: إذا شق عليك؛ ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح، أي: ما شق علي، وعذاب صعد أي: شديد.

والصعد: مصدر صعد؛ يقال: صعد صعداً وصعوداً، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعد المعذب أي: يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، وقال أبو عبيدة: الصعد مصدر؛ أي: عذاباً ذا صعد، والمشي في الصعود يشق، والصعود: العقبة الكؤود، وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حذر إلى جهنم (٢)، وقال الكلبي: يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من صخرة ملساء، يجذب من أمامه بسلاسل، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغ إلا في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها أحذر إلى أسفلها، ثم يكلف أيضاً صعودها، فذلك دأبه أبداً (٣)، وهو قوله تعالى: ﴿سَأْرِهْقَهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ «أَنَّ» بالفتح، قيل: هو مردود إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْحِي إِلَيَّ﴾ [الجن: ١] أي: قل أوحى إلي أن المساجد لله، وقال الخليل: أي: ولأن المساجد لله، والمراد البيوت التي تبنها أهل الملل للعبادة، وقال سعيد بن جبيرة: قالت الجن: كيف لنا أن تأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن نأوون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: بنيت لذكر الله وطاعته، وقال الحسن: أراد بها كل البقاع؛ لأن الأرض كلها مسجد للنبي ﷺ، يقول: «أينما كنتم فصلوا فأينما صليتم فهو مسجد» (٤).

وفي الصحيح: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (٥).

وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب: أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد، وهي القدمان والركبتان، واليدين، والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجد لغيره بها، فتجحد نعمة الله.

قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها، وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجهة - وأشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين» (٦)، وقال العباس: قال النبي ﷺ: «إذا سجد العبد

(١) ضعيف جداً: ذكره الطبري (١٢٢ / ٢٩) في تفسيره من طريق العوفيين المليء بالضعف والجهالة.

(٢، ٣) انظر تفسير ابن كثير (٨ / ١٩٠).

(٤) صحيح: البخاري (٣٣٦٦) في أحاديث الأنبياء، ومسلم (٥٢٠ / ١) في المساجد، عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه ولفظه: «أينما أدركتك الصلاة فصل».

(٥) صحيح: وسبق تخريجه.

(٦) متفق عليه: البخاري (٨١٢) في الأذان، ومسلم (٤٩٠) في الصلاة.

سجد معه سبعة آراب»<sup>(١)</sup>، وقيل: المساجد: هي الصلوات؛ أي: لأن السجود لله، قاله الحسن أيضاً، فإن جعلت المساجد المواضع، فواحدها مسجد بكسر الجيم، ويقال بالفتح؛ حكاه الفراء، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم، وقيل: هو جمع مسجد، وهو السجود، يقال: سجدت سجوداً ومسجداً، كما تقول: ضربت في الأرض ضرباً ومضرباً بالفتح: إذا سرت في ابتغاء الرزق، وقال ابن عباس: المساجد هنا مكة التي هي القبلة، وسميت مكة المساجد؛ لأن كل أحد يسجد إليها<sup>(٢)</sup>، والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله، وهو مروى عن ابن عباس رحمه الله.

الثانية: قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ إضافة تشريف وتكريم، ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال: ﴿وَوَطَّئِرْ بَيْتِي﴾ [الحج: ٢٦] وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد» حديث خرجه الأئمة، وقد مضى الكلام فيها<sup>(٣)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»<sup>(٤)</sup>، قال ابن العربي<sup>(٥)</sup>: وقد روى من طريق لا بأس بها أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا»<sup>(٦)</sup> ولو صح هذا لكان نصاً. قلت: هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة «إبراهيم»<sup>(٧)</sup>.

الثالثة: المساجد وإن كانت لسه ملكاً وتشريعاً فإنها قد تسبب إلى غيره تعريفاً؛ فيقال: مسجد فلان، وفي صحيح الحديث أن النبي ﷺ سابق بين الخليل التي أضمرت من الحفيا وأمدتها ثنية الوداع، وسابق بين الخليل التي لم تُضمَر من الثنية إلى مسجد بني زريق<sup>(٨)</sup>، وتكون هذه الإضافة بحكم المحلية كأنها في قبيلتهم، وقد تكون بتحسيسهم، ولا خلاف بين الأمة في تحسيس المساجد والقناطر والمقابر وإن اختلفوا في تحسيس غير ذلك،

الرابعة: مع أن المساجد لله لا يذكر فيها إلا الله، فإنه تجوز القسمة فيها للأموال، ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء أكل، ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنوم فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عري عن

(١) صحيح: مسلم (٤٩١) في الصلاة، والترمذي، وأبو داود (٨٩٠) (٢٧٢) كلهم من طريق المصنف.

وقال ابن حجر رحمه الله: الآراب: جمع أرب بكسر أوله، وإسكان ثانيه وهو العضو. الفتح (٢/ ٢٩٦).

(٢) فيه رجل مجهول: ذكره ابن كثير (٨/ ١٩٢) في تفسيره من طريق ابن أبي حاتم.

(٣) صحيح: النسائي (٣/ ١١٤) في سننه، وأحمد (٦/ ٧)، عن أبي بصرة الغفاري - وقد سبق.

(٤) متفق عليه: البخاري (١١٩٠) في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم (١٣٩٤/ ٥٠٥ - ٥٠٨) في الحج، عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٨٦٩) للقاضي ابن العربي المالكي.

(٦) سبق نحوه في الصحيحين قريباً.

(٧) عند الآية رقم (٣٧).

(٨) متفق عليه: البخاري (٤٢٠) في الصلاة، ومسلم (١٨٧٠/ ٩٥) في الإمارة، عن ابن عمر - رضي الله عنهما.

الباطل، وقد مضى هذا كله مبينا في سورة « التوبة » (١)، و « النور » (٢) وغيرهما.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام، وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها، يقول: فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد (٣)، وقيل: المعنى: أفردوا المساجد لذكر الله، ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا، ولا طرقا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا، وفي الصحيح: «من نشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا» (٤) وقد مضى في سورة « النور » ما فيه كفاية من أحكام المساجد، والحمد لله.

السادسة: روى الضحاك عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى، وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ اللهم أنا عبدك وزائرک، وعلى كل مزور حق، وأنت خير مزور، فأسألك برحمتك أن تفك رقبتی من النار، فإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى؛ وقال: «اللهم صب علي الخير صبا، ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا، ولا تجعل معيشتي كدا، واجعل لي في الأرض جدا» (٥) أي: غنى.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يجوز الفتح؛ أي: أوحى الله إليه أنه، ويجوز الكسر على الاستئناف (٦)، و«عبد الله» هنا محمد ﷺ حين كان يصلي ببطن نخلة، ويقرأ القرآن، حسب ما تقدم أول السورة، «يدعوه» أي: يعبده، وقال ابن جريج: «يدعوه» أي: قام إليهم داعيا إلى الله تعالى: «كادوا يكونون عليه لبدا» قال الزبير بن العوام: هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي ﷺ، أي: كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون، حرصا على سماع القرآن (٧).

وقيل: كادوا يركبونه حرصا؛ قاله الضحاك. ابن عباس: رغبة في سماع الذكر (٨)، وروى برد عن مكحول: أن الجن بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفا، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر.

(١)، (٢) سورة « براءة » الآية (٢٨)، وسورة النور الآية (٣٦).

(٣) صحيح إلى مجاهد: وقد روى أيضا من طريق قتادة وغيره. الطبري (٢٩/ ١٢٣) في تفسيره.

(٤) صحيح: مسلم (٥٦٨/ ٧٩، ٧٩ مكرر) في المساجد ومواضع الصلاة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

(٥) منقطع بين الضحاك وابن عباس - رضي الله عنهما: وانظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٠).

(٦) هي قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٤).

(٧) أشار إليه ابن كثير (٨/ ١٩٢، ١٩٣) في تفسيره، وسكت عنه مما يشعر بتضعيفه لا بصحته لقوله: «وهو مروى

عن الزبير».

(٨) منقطع: بين الضحاك وابن عباس - رضي الله عنهما: انظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٠).

وعن ابن عباس أيضا: إن هذا من قول الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ وائتمامهم به في الركوع والسجود<sup>(١)</sup>، وقيل: المعنى كاد المشركون يركبون بعضهم بعضا، حرذا على النبي ﷺ، وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد بالدعوة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، وأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره، واختار الطبري<sup>(٢)</sup> أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبي ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النور الذي جاء به، وقال مجاهد<sup>(٣)</sup>: قوله: ﴿لَبِداً﴾ جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء، أي: تجمع؛ ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه، وكل شيء ألصقته إصصاقا شديدا فقد لبدته، وجمع اللبدة لبداً مثل قرية وقرب، ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد لبدة وجمعها لبداً؛ قال زهير:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٌ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ

ويقال للجراد الكثير: لبداً، وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامة، وضم اللام وفتح الباء<sup>(٤)</sup>، وهي قراءة مجاهد وابن محيصن وهشام عن أهل الشام، واحدها لبدة، وبضم اللام والباء، وهي قراءة أبي حيوة ومحمد بن السميع وأبي الأشهب العقيلي والجاحدي واحدها لبداً مثل: سَقَفٌ وَسُقْفٌ، وَرَهْنٌ وَرُهْنٌ، وبضم اللام وشد الباء وفتحها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجاحدي أيضا واحدها لا بد؛ مثل: رَاكِعٌ وَرُكْعٌ، وَسَاجِدٌ وَسَجْدٌ، وقيل: اللبد بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم؛ ومنه قيل لنسر لقمان: لبداً لدوامه وبقائه؛ قال النابغة:

أَخْتَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْتَى عَلَى لَبْدِ

القشيري: وقرئ: «لبداً» بضم اللام والباء، وهو جمع لبيد، وهو الجولق الصغير، وفي الصحاح: وقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْتَ مَالاً لَبِداً﴾<sup>(٥)</sup> أي: جما. ويقال أيضا: الناس لبداً أي: مجتمعون، واللبد أيضا: الذي لا يسافر ولا يبرح منزله، قال الشاعر:

مِنْ أَمْرِي ذِي سَمَاحٍ لَا تَزَالُ لَهُ بَزْلَاءُ يَعْيًا بِهَا الْجَنَامَةُ اللَّبْدُ

ويروى: اللبد، قال أبو عبيد: وهو أشبه.

والبزلاء: الراي الجيد، وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمر العظام؛ قال الشاعر:

إِنِّي إِذَا شَعَلْتُ قَوْمًا فَرُوجُهُمْ رَحْبُ الْمَسَالِكِ نَهَاضٌ بِبَزْلَاءِ

ولبداً: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف؛ لأنه ليس بمعدول، وتزعم العرب أن لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر، من أظب عُفْر، في جبل وعمر، لا يمسه القطر؛ أو بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر، خلف بعده نسر، فاخترت النسور، وكان آخر نسوره يسمى لبداً.

وقد ذكرته الشعراء؛ قال النابغة:

(١) حسن: الطبري (٢٩/ ١٢٤) في تفسيره.

(٢) الطبري (٢٩/ ١٢٤ - ١٢٦) في تفسيره، واختاره ابن كثير (٨/ ١٩٣) في تفسيره.

(٣) صحيح إلى مجاهد: كما في تفسير الطبري (٢٩/ ١٢٦).

(٤) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٤).

أَضْحَتْ خَلَاءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا      أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَيْدٍ

والليد: الجولق الصغير؛ يقال: أبلدت القرية، جعلتها في ليد، وليد: اسم شاعر من بني عامر.  
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي: قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر  
القراء «قال» على الخبر، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾<sup>(١)</sup> على الأمر، سبب نزولها: أن كفار قريش  
قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك؛ فنزلت<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم  
خيرا، وقيل: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: كفرا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ أي: هدى؛ أي: إنما عليّ التبليغ، وقيل:  
الضر: العذاب، والرشد: النعيم، وهو الأول بعينه، وقيل: الضر الموت، والرشد الحياة.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup> إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ  
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَقُولُونَ مَنْ  
أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٥﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يدفع عذابه عني أحد إن استحققت؛ وهذا  
لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك، وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود، قال: انطلقت مع  
النبي ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون، فخط علي خطا، ثم تقدم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيد  
لهم يقال له: وردان: أنا أزلجهم عنك<sup>(٣)</sup>؛ فقال: «إني لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي،  
قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني مما قدره  
الله تعالى علي أحد، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملتجأ أجا إليه؛ قاله قتادة<sup>(٤)</sup>، وعنه: نصيرا  
ومولى<sup>(٥)</sup>، السدي: حرزا<sup>(٦)</sup>، الكلبي: مدخلا في الأرض مثل السرب<sup>(٧)</sup>، وقيل: وليا ولا مولى،  
وقيل: مذهبا ولا مسلكا، حكاه ابن شجرة، والمعنى واحد.

ومنه قول الشاعر:

يَا لَهْفَ نَفْسِي وَلَهْفِي غَيْرُ مُجِدِيَةٍ      عَنِّي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مُلْتَحَدٌ

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ فإن فيه الأمان والنجاة؛ قاله الحسن<sup>(٨)</sup>.

وقال قتادة: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾ فذلك الذي أملكه بتوفيق الله، فأما الكفر والإيمان، فلا  
أملكهما<sup>(٩)</sup>، فعلى هذا يكون مردودا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا

(١) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٤).

(٢) ذكره السيوطي بنحوه (ص ٤٣٥) في أسباب النزول ولكن على أنه من قول الجن لا من قول البشر.

(٣) منقطع: وانظر: دلائل النبوة (٢/ ٢٩١، ٢٩٢) لليهقي - رحمه الله.

وأرجلهم: أذفعمهم - كما في اللسان.

(٤، ٥) صحيح إلى قتادة: كما في الطبري (٢٩/ ١٢٦).

(٦، ٧) انظر: الماوردي (٦/ ١٢١) في تفسيره.

(٨، ٩) صحيحان: انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٢٧).

أملك لكم إلا أن أبلغكم، وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: إلا أن أبلغكم أي: لكن أبلغكم ما أرسلت به؛ قاله الفراء، وقال الزجاج: هو منصوب على البدل من قوله: ﴿مُلْتَحِدًا﴾ أي: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾ إلا أن أبلغ ما يأتيني من الله ورسالاته؛ أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها، أو إلا أن أبلغ عن الله وأعمل برسالاته، فأخذ نفسي بما أمر به غيري. وقيل: هو مصدر، و﴿لَا﴾ بمعنى لم، و﴿إِنْ﴾ للشرط، والمعنى لن أجد من دونه ملتحدًا، أي: إن لم أبلغ رسالات ربي بلاغا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد والعبادة، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كسرت «إن»؛ لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء وقد تقدم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصب على الحال، وجمع ﴿خَالِدِينَ﴾ لأن المعنى لكل من فعل ذلك، فوحد أولا للفظ ﴿من﴾ ثم جمع للمعنى، وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ دليل على أن العصيان هنا هو الشرك، وقيل: هو المعاصي غير الشرك، ويكون معنى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ إلا أن أعفو أو تلحقهم شفاعة، ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو، وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة «النساء»<sup>(١)</sup> وغيرها.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون من عذاب الدنيا، وهو القتل بيدر ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ أضعف ناصرا﴾ أهم أم المؤمنون، و﴿أَقْلَّ عَدَدًا﴾ معطوف: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة، وقيل: عذاب الدنيا؛ أي: لا أدري ﴿فَإِنَّ﴾ بمعنى ﴿مَا﴾ أو ﴿لَا﴾؛ أي: لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة إلا الله؛ فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفه الله، و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: يجوز «أن يكون مع الفعل مصدرا، ويجوز» أن تكون بمعنى الذي ويقدر حرف العائد، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أي: غاية وأجلا، وقرأ العامة بإسكان الباء من ﴿رَبِّي﴾، وقرأ الحرميان وأبو عمرو بالفتح<sup>(٢)</sup>.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿٥﴾

فيه مسألتان :

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ﴿عَالِمُ﴾ رفعا نعتا لقوله: ﴿رَبِّي﴾، وقيل: أي: هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ والغيب: ما غاب عن العباد، وقد تقدم بيانه، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٥﴾ إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال ابن جبير: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ هو جبريل عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وفيه بعد، والأولى أن يكون المعنى: أي:

(١) عند الآية (٩٣).

(٢) قراءة سبعة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٨٤).

(٣) ضعيف: وفيه يعقوب القمي، وهو أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعري صدوق بهم رواه الطبري (٢٩/ ١٢٣) في تفسيره.

لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أي: اصطفى للنبوّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه، ليكون ذلك دالا على نبوته.

**الثانية:** قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب، ويزجر بالطير من ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفر على حدسه وتخمينه وكذبه، قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالهم، وتباين موالدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمهم حكم الفرق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم قبحة الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعهم المخصوص به، فلا فائدة إذا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حُكْمُ الْمُنْجِمِ أَنْ طَالَعَ مَوْلِدِي      يَقْضِي عَلَيَّ بِمَيْتَةِ الْعَرَقِ  
قُلْ لِلْمُنْجِمِ صَبْحَةَ الطُّوفَانِ هَلْ      وَوُلِدَ الْجَمِيعُ بِكُوكَبِ الْفَرَقِ

وقيل لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العرق؟ فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم (١)؟ وكان ذلك في آخر الشهر، فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم، وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت، فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده - في كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل - فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهستدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت، ولا حرمك العطاء ما كان لي سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاهم عنها، فلقي القوم

(١) انظر: كشف الحفا (٢/ ٤٧٢) للمجلوني - رحمه الله، وذكره الألويسي في تفسيره (١٧/ ٧٠) في تفسيره.

فقتلهم، وهي وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم<sup>(١)</sup>، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان. ثم قال: يا أيها الناس، توكلوا على الله وثقوا به؛ فإنه يكفي من سواه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ يعني: ملائكة يحفظونه أن يقرب منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة، قال الضحاك: ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبهوا بصورة الملك، فإذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا: هذا شيطان فاحذره، وإن جاءه الملك قالوا: هذا رسول ربك<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عباس وابن زيد ﴿رَصَدًا﴾ أي: حفظة يحفظون النبي ﷺ من أمامه وورائه من الجن والشياطين<sup>(٣)</sup>، قال قتادة وسعيد ابن المسيب: هم أربعة من الملائكة حفظة<sup>(٤)</sup>.

وقال الفراء<sup>(٥)</sup>: المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجن الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم، فيسبقوا به الرسول، وقال ألسدي ﴿رَصَدًا﴾ أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان<sup>(٦)</sup>. و﴿رَصَدًا﴾ نصب على المفعول، وفي الصحاح: والرصد القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا: أرصادا، والراصد للشيء: الراقب له؛ يقال: رصده يرصده رَصَدًا وَرَصَدًا، وَالتَّرَصُدُ: الترقب، والمرصد: موضع الرصد.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَيْبَهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة<sup>(٧)</sup>، وفيه حذف يتعلق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق، وقيل: ليعلم محمد أن قد أبلغ جبريل ومن معه إليه رسالة ربه؛ قاله ابن جبير<sup>(٨)</sup>، قال: ولم ينزل الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام، وقيل: ليعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم، وقيل: ليعلم الرسول، أي: رسول كان

(١) صحيح: مسلم (١٠٦٦ / ١٠٦٦، ١٥٧) في الزكاة.

(٢) كلام غير معقول ولا يوضح أبداً، وحسبنا أنه مقطوع على الضحاك - رحمه الله.

(٣) ضعيف جداً إلى ابن عباس: كذا رواه الطبري (٢٩ / ١٢٩) في تفسيره من طريق العوفيين وهي طريق مليئة بالجهالة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٩ / ١٣٠) نقلاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما بسند ضعيف، وانظر: تفسير ابن كثير (٨ / ١٩٥).

(٥) معاني القرآن (٣ / ١٩٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٨ / ١٩٥).

(٧) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩ / ١٢٩).

(٨) حسن إليه: الطبري (٢٩ / ١٣٠) في تفسيره.

أن الرسل سواء بلغوا، وقيل: أي: ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق أصحابه، وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، وقال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم (١)، وقراءة الجماعة: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ بفتح الياء وتأويله ما ذكرناه، وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء (٢) أي: ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا، وقال الزجاج: أي: ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] المعنى ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة، وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم، فيبلغوا رسالاته (٣)، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحاط بعدد كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء، و﴿عَدَدًا﴾ نصب على الحال، أي: أحصى كل شيء في حال العدد، وإن شئت على المصدر، أي: أحصى وعد كل شيء عددا، فيكون مصدر الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شيء، وقد بينا جميعه في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، والحمد لله وحده.

(١) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٩/ ١٣٠) في تفسيره.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٨٤).

(٣) صحيح: وقد سبق